١٤٠٠ ميل بناهُ الملك سيهوانتكي الذي عند فراغهِ من بنائهِ افتخر على من تقدمهُ من الملوك. واذ اراد ان يمحو اخبار الاولين ومن سلفهُ من الملوك ويظهر للمتاخرين انهُ هو اول ملوك الصين امر باعدام المورخين وقيود المملكة فامر في يوم واحد بدفن ٤٠٠ رجل من العلماء وهم احياء. ثم امر بحرق الكتب والتواريخ الموجودة في خزائن المملكة

الفصل الخامس

في تاريخ المصريين القدماء

اننا نرى في تك ١٠ : ٦ ان حام بن نوح كان لهُ ابنٌ اسمهُ مصرايم ويُظَنُّ ان مصر تسمت منهُ. وكانت مملكة شهيرة في عصر ابرهيم سنة ٤٣٠٠ بعد الطوفان وكانت في عصر يعقوب منقسمة الى اقسام او مقاطعات ولملكها اصحاب مشورة في امور المملكة وتحتهُ رتبٌ ووظائف شتى لتدبير المصالح وسجونٌ لقصاص المذنبين وكهنةٌ لهم ارزاقٌ موقوفةٌ وكان لها ايضاً تجارةٌ وصنائع ومعامل مختلفةٌ مما يدلُّ على تقدُّمها في رتبة التمدُّن على بقية شعوب تلك الازمنة ويؤيِّد ذلك ما قالهُ هيرودوط اي انهُ كان في مصر في عصر الملك اماسيس سنة ٥٥٩ ق م ٢٠ الف مدينة عامرة

وانقسمت مصر القديمة الى ثلثة اقسام كبرى

الاول مصر العالية اي الصعيد وسميت ايضاً بلاد ثيبة لوقوع مدينة ثيبة فيها

الثاني مصر المتوسطة كانت عاصمتها مدينة ممفيس

الثالث مصر السفلى المشتملة على أرض جاسان ومثلث النيل

اما مدينة ثيبة فخربت قبل ميتدأ التواريخ التي يُوثَق بها ولولا الرسوم والخرابات العجيبة الباقية الى الآن لما امكن التصديق بما قيل عن عظمتها وبهجتها وهي مذكورة في اشعار اوميروس الذي عاش ق م ٩٠٠ سنة وقيل انهُ كان لها مئة باب وكان عدد سكانها كثيرًا جدًا حتى انها ارسلت من كل باب مئتي مركبة وعشرة الاف مقاتل ولعل ذلك من مبالغات الشاعر. وبُنِيت على جانبي النيل وكان طولها اثنين وخمسين ميلاً وكانت في اعظم زهونها سنة ١٣٠٠ ق م وذلك في آخر حكم القضاة على بني اسرائيل. قال هيرودوط المؤرخ اليوناني انهُ كان باقيًا في ذلك الوقت اثار اربعة هياكل طول اعظمها ٣٠٠ ١ قدم وعرضهُ ٤٠٠ قدم وخرابات المدينة مشتتة في مسافة محيطها سبعة وثلاثون ميلاً ولم يزل كثيرٌ من هذه الخرابات باقيًا الى ايامنا

اما مصر المتوسطة فكانت قاعدتها مدينة ممفيس مبنية على الشط الغربي من نهر النيل حذاء موقع القاهرة وبقربها الاهرام الثلثة الكبيرة التي بُنِيت حسب ظن الاكثرين بين ١٠٠٠ و ٣٠٠٠ سنة ق م وهي مدافن لملوك مصر قيل اقتضى

لبناء اكبرها ثلثون سنة واشتغل به عشرة الاف عامل وتبادلوا كل ثلثة اشهر ولم تزل هذه الاهرام باقية الى الآن. ومن غرائب هذا القسم بركة كبيرة مصنوعة بالايادي قيل احتفرت بامر الملك ميريس ق م ٤٠١٠ سنين ويعاصر ذلك ناحور جد ابرهيم وكان محيطها ٣٠ الف ذراع والقصد باحتفارها جمع مياه النيل عند فيضانه لاجل سقي الارض عند الاحتياج لذلك. وكان في مصر كثيرٌ من العواميد العالية منقوشة بكتابات واشارات وعلامات سرية في القلم المصري القديم لم يعرفها الاَّ كهنة المصريين الذين كانوا اصحاب العلوم واسرار ديانتهم واخذ الملوك القياصرة عمودين منها الى رومية. ويُرَى الآن في مقالع بلاد الصعيد عواميد من هذا النوع غير تامة. ثم ان القلم المصري القديم بقي مجهولاً الى سنة ١٨٢٢ م حين حلَّهُ شامبوليون الفرنساوي فصارت تُقرأ اسرار ديانة المصريين القدماء واخبار حوادث كثيرة جرت بينهم في الحجارة والعواميد واللفائف التي لفُّوا بها موتاهم. وهنا يجب ان نذكر الترعة الجامعة بين نهر النيل والبحر الاحمر ابتدا بحفرها الملك سيسوستريس فمات قبل اتمامها ثم قصد اتمامها فرعون نخو وكفَّ عن العمل لما اخبرهُ الفال ان البرابرة يدخلون مصر بها. ولما خضعت مصر للفرس قصد الملك داريوس اتمامها فكفَّ عنها خوفًا من فيضان ماء البحر الاحمر على مصر كلها. ثم كملت اخيرًا في عصر الدولة البطلميوسية

قيل كان عرضها مئة ذراع وعمقها كافيًا لاعظم مراكب تلك الازمنة وطولها بين سبعين وثمانين ميلاً وهي الآن مردومة باق رسمها فقط

واما مصر السفلية فمبداها عند انقسام النيل الى شطرين بمكان يُسمَّى الآن بطن البقرة شطرٌ يصبُّ في البحر المتوسط بقرب مدينة دمياط والآخر بقرب مدينة رشيد والمثلث المصنوع بشطري النيل وريف البحر يُسمَّى الآن البحيرة وسُمِّي قديمًا الدلتا لشبهه حرف Δ الذال عند اليونانيين ومن مدن هذا القسم القديمة الشهيرة هيليوبوليس اي مدينة الشمس والاسكندرية وطانيس التي سكنها بنو اسرائيل وبيلوسيوم المسمَّاة الآن دمياط وروستة المسمَّاة الآن رشيد وقيل ان هاتين هما فيتون ورعمسيس اللتان بناهما بنو اسرائيل خر ١: ١١. اما الاسكندرية فلم تكن ذات اعتبار حتى جدَّدها وزيَّنها اسكندر ذو القرنين وكانت في ايام زهوتها اعظم مدن العالم تجارةً ومركزًا للعلوم واشتملت مكتبتها على سبع مئة الف مجلد فاحترقت جميعها

الفصل السادس

في حكم المصريين القدماء وشرائعهم

كان حكم المصريين القدماء من نوع الملكي المتوارث غير انه لم يكن للملوكها التصرُّف المطلق اذ كانوا مقيدين ببعض الشرائع وبوجاهة الكهنة الذين كانوا اصحاب مشورة الملك وعُيِّن

لهم معاش من خزنة المملكة ولهم ثلث الارض كلها وكانوا ايضاً اصحاب الوظائف وحافظي تذاكر الدولة واسرار الدين. وكانت دعاوي الشعب تُقام في ديوان من ثلاثين قاضياً ينتخبهم الملك من الثلاث مدن الشهيرة اي عشرة من هليوبوليس وعشرة من ممفيس وعشرة من ثيبة وعند دخولهم في وظيفتهم يقسمون على انفسهم بقسم انهم لا يخرجون عن الحق والعدل في قضائهم ولو بامر الملك ذاته وعُيّن لهم معاش مدّة اقامتهم في الوظيفة لكي لا يهتموا بشيء غير ممارسة امور وظيفتهم. وكان رئيس هذا الديوان يلبس طوقاً من ذهب مرصعاً بالحجارة الكريمة ومعلقاً به تمثال شخص اعمى دليلاً على الحق والانصاف. ومن قتل نفساً قُضي عليه بالموت ومن استطاع ان يخلص نفساً من الموت ولم يفعل قُضي عليه كالقاتل ومثله التزوير في اليمين. ومن اشتكى على آخر زوراً قُضي عليه بالقصاص الذي يستوجبه الذنب المشتكي به على الآخر. وعلى كل انسان ان يقيّد اسمه في دفتر من دفاتر المملكة ذاكراً محل اقامته ومهنته وان كذب في امر من ذلك قُضي عليه بالموت. ولاجل منع استقراض الدراهم حكم بان المستقرض يضع عند الدائن جثة ابيه رهناً وان مات ولم يستخلص الرهن لم يؤذن بدفنه. ومن افشى اسرار المملكة قُطع لسانه. والسارق والمزور قُطعت يدٌ من ايديهما والفاسق خُصي والزاني أُحرق بالنار وسوّي بزواج الاخ باخته وهذه العادة دالّة على

الظلمة المحدقة بهم مع وجود مقدار ليس بقليل من الحكمة العالمية

الفصل السابع

في ديانة المصريين القدماء وكهنتهم

ان كهنة المصريين القدماء لم يتقدم عليهم احدٌ في الكرامة سوى الملوك فقط ولم يدفعوا خراجًا على ارزاقهم وكان معاشهم من خزنة المملكة كما يتضح من تك ٤٧: ٢٢ و٢٦ وكانوا ذوي معرفة ومتفننين بجميع العلوم والفلسفة الشائعة في عصرهم فاستحقوا ان يكونوا مدبري امور المملكة وكان ايضًا في تسليمهم جميع الكتب الدينية مكتوبة بالقلم المصري القديم ومعرفته مكتومة عن العامة. وجُعل في بعض هياكلهم تمثال شخص اصبعهُ على فيهِ اشارةً الى كون الاسرار محفوظة هناك. ولم يوجد شعبٌ اجهل من المصريين القدماء نظرًا الى عبادتهم لانهم عبدوا الشمس تحت اسم اوسيريس والقمر تحت اسم اسيس وفضلاً عن ذلك قدموا الاكرام الديني لعدة انواع من الحيوانات والطيور والاحناش والهوام كالثور والكلب والذئب والبازي والتمساح والنمس والبجع والهرّ. ومن هذه الحيوانات ما عُبِد في مدينة وحُسِب رجسًا في اخرى فحدث من ذلك خصامٌ وعداوة دائمة بين اهل مدينة ومدينة ومَن قتل احد هولاء الآلهة عمدًا قُتِل بلا رحمة ومَن قتل احدها عرضًا عوقب عقابًا شديدًا والى هذا اشار موسى بقولهِ لفرعون خر ٨: ٢٦ اننا

تذبح للرب الهنا رجسات المصريين فاذا ذبحنا ضحايا المصريين وهم ينظرون فانهم سيرجموننا

وكان التفضل والاكرام الزائد للثور الذي سُمّي افيس فانهم عمروا لهُ افخر الهياكل واكرموهُ اكرامًا زائدًا في حياتهِ . وعند موتهِ صار حزنٌ عامٌّ في بلاد مصر كلها وحنّطوهُ ودفنوهُ باكرام واحتفال زائدين لم يقدموا نظيرها لملوكهم . وما زالوا يحزنون ويفتشون في ارض مصر الى ان وجدوا خليفةً لهُ فتحوّل حزنهم الى فرح عظيم وساقوا الاله الجديد الى مدينة ممفيس بالطرب والتهليل وادخلوهُ الى هيكلهِ باحتفال يكاد يفوق التصديق. ومن ذلك اختار بنو اسرائيل صورة العجل اقتداء بهم وايضًا يربعام بن نباط بعد رجوعهِ من مصر صنع عجلين من ذهب اقتداء بما رآهُ هناك من عبادة الثور. واعتقد المصريون ايضًا بالتناسخ اي ان النفوس بعد الموت تدخل الى اجساد بشرية او الى اجساد حيوانات نجسة للمجازاة وانها بعد تقلُّب عصور متعدّدة ترجع الى اجساد بشرية

الفصل الثامن

في احتفالات جنائز المصريين وتحنيط موتاهم

اهتم المصريون القدماء كثيرًا في وقاية جثث موتاهم من الفساد ولذلك حفروا تلك المدافن المتسعة وبنوا الابنية العظيمة التي قد تعجّب منها الناس في جميع العصور. وانفقوا نفقات زائدة

على تحنيط الاجساد المينة. وكانت صناعة التحنيط إخراج دماغ القحف من المخرين واخراج الامعاء الاّ القلب والكليتين من ثقب في الخاصرة ثم غسلها بخمر النخل وردها الى اجوافها وملء الراس واجواف الامعاء بالمر والقرفة وجميع انواع الاطياب والعطور ودهن الجسد بالزبوت العطرية مدة ثلثين يوماً ثم وضعهُ في ماء ناترون اربعين يوما ثم لفهُ بلفائف مغموسة بالمرّ ودهّن اللفائف من خارج بماء الصمغ للوقاية من الهواء ثم يوضع الجسد في تابوت من خشب او من حجر ويُدفَع لاهلهِ فيبقونهُ في بيوتهم او يضعونهُ في مدفن ويُوجَد كثيرٌ من هذه الاجساد المحنطة في ايامنا وتسمّى موميا. ولم يكن يُؤذن بتحنيط احدٍ او دفنهِ الاّ بعد الفحص عن حياتهِ وسيرتهِ واوصافهِ فاذا وُجدت حميدة حق لهُ الكرامة اللائقة بالاموات والاّ فتطرح خارجًا ولا فرق في ذلك بين الملوك والعوام ونرى شيئًا من ذلك بين بني اسرائيل فانهم لم يدفنوا ملوكهم الاشرار في مدافن سلفائهم. ونرى ايضًا بين الشعوب اختلافًا كليًا نظرًا للاموات فمنهم من اجتهدوا على حفظ اجسادهم كالمصريين ومنهم من احرقوها بالنار كالرومانيين ومنهم من دفنوها في التراب ولعلّ هذه العادة الاخيرة لها الفضل على غيرها

الفصل التاسع

في ملوك مصر القدماء

ان الاخبار عن ملوك مصر القدماء قلما يوثق بها واصحها ماخوذٌ من كتب هيرودوط وديودورس . قيل ان مؤسّس المملكة واول ملوكها هو مينيس عاش ق م ٢١٨٨ تقريبًا وقيل انهُ مصرايم بن كوش بن حام بن نوح المذكور في تك ١٠ : ٦ وان المملكة تسمت مصرًا منهُ . ومن خلفائهِ بوسيريس الذي بنى ثيبة في بلاد الصعيد واوخوريوس الذي بني ممفيس وميريس الذي حفر البحيرة المسماة الآن بركة قارون . وسنة ٢٠٨٤ ق م تقريبًا اتى الى مصر قومٌ غرباء قيل وافوا من بلاد العرب وقيل من فينيقية واستولوا على اكثر المملكة غير ان بلاد ثيبة بقيت تحت تسلط نسل مصرايم . وملك هولاء الملوك الغرباء على مصر مقدار ٢٦٠ سنة واذ كانوا اصلاً رعاةً دُعوا الملوك الرعاة وفي عصر احدهم انحدر ابرهيم الى مصر واصابهُ ما ذُكِر في تك ١٢ : ١٠ — ٢٠ . وقد دُعِي جميع ملوك مصر في الكتب المقدسة فراعنة

ثم اخرج اموسيس الملوك الرعاة من مصر السفلية وملك عليها . وفي زمان احد خلفائهِ بيع يوسف الى مصر ق م ١٧٢٨ . واما الملك الذي استعبد بني اسرائيل فقيل انهُ فرعون رعمسيس ومن نسلهِ سيسوستريس وكان ملكًا منصورًا غالبًا فاستفتح اكثر

بلاد اسيا وجزءًا من اوروبا وامتد حكمهُ من نهر الكنك الى نهر دونو ويوجد الآن بعض الآثار كالعواميد والحجارة المنقوشة يظن انها من عصرهِ وخلفهُ ابنهُ فرعون الذي يُظَن ان خروج بني اسرائيل من مصر كان في عصرهِ ق م ١٤٩١

وسنة ١٥٥٦ ق م سافر من مصر قومٌ تحت امر رجل اسمهُ كيكروبس فاتوا الى بلاد المورة وبنوا هناك اثني عشرة مدينة وكان ذلك تأسيس مملكة اثينا

وبقرب هذا العصر ايضًا وقبل سنة ١٥٥٠ ق م تقدم رجل اسمهُ كادموس من فينيقية الى المورة وادخل معهُ حروف الهجاء وصناعة الكتابة ويعاصر ذلك مدة تيهان الاسرائيليين في البرية

ثم استولى على مصر بروتيوس ق م ١٢٠٤ . ثم ملك على مصر خيوبس وقيل انهُ بنى الاهرام الاربعة وانهُ عاش بين سنة ١٢٠٤ و١٠٥٤ ق م وذلك بين اخر حكم القضاة على بني اسرائيل واول ملك داود

ثم ملك على مصر ق م ١٠١٢ فرعون الذي تزوج بابنتهِ سليمان بن داود ملك اسرائيل ١ مل ٣ : ١ وبعد وفاتهِ خلفهُ فرعون شيشق الذي هرب اليهِ يربعام بن نباط ١ مل ١١ : ٤٠ ثم اتى شيشق هذا وحارب رحبعام بن سليمان ملك يهوذا واستفتح اكثر مدن يهوذا ونهب الهيكل ثم عاد الى مصر ٢ اي ١٢ : ١ — ٩. ثم ملك على مصر زارح الحبشي ق م ٩٤١ وحارب آسا ملك

يهوذا فانكسر المصريون وانتهب عسكرهم ٢ اي ١٤: ٩ — ١٢.
ثم ملك على مصر ق م ٧٣٤ سوا الحبشي الذي استغاث بهِ هوشع
ملك اسرائيل على شلمناسر ملك اشور ٢ مل ١٧: ٤. ثم ملك
بعدهُ صاثون بن سوا ق م ٧١٩ وكان ملك الحبش وقتئذٍ تراق
فاستغاث بهما حزقيا ملك يهوذا على سنحاريب ملك اشور
الذي انتصر عليهما وتبعهما الى مصر ونهبها وخربها كما تنبأ اشعيا
انظر ٢ مل ١٩ واش ١٨ — ٢٠ و ٣٠ و ٣١. وبعد وفاة صاثون
ملك على مصر تراق المذكور انفًا وهو آخر ملوك الحبش الذين
ملكوا على مصر. ثم انقسمت المملكة بعد وفاتهِ بين اثني عشر من
اكابرها وملك كل واحد على قسمٍ منها مقدار خمس عشرة سنة
الى ان اتى الى مصر قوم من عساكر اليونانيين طُردوا الى هناك
بنوءِ اصابهم في البحر فاستخدمهم احد الرؤساء المشار اليهم اسمهُ
فصستيخوس وبمعونتهم طرد الباقين وملك وحدهُ وقبل ذلك
لم يؤذن للغرباء ان يستوطنوا في مصر. واما فصستيخوس فنقض
هذه الشريعة واسكن هولاء اليونانيين في البلاد وعيّن لهم معاشًا
ومن ثمَّ ابتدأت العشرة بين المصريين واليونانيين وترى تاثير
ذلك في زيادة وضوح تاريخ مصر من ذلك الحين فصاعدًا

وتوفي فصستيخوس في السنة الرابعة والعشرين من ملك
يوشيا وخلفهُ فرعون نخو او نخو فوقع بينهُ وبين يوشيا حربٌ
وقتل يوشيا في مدينة مجدو فرثاهُ النبي ارميا ٢ اي ٣٥: ٢٠ —

٣٥. ثم تقدم نخو وحارب ملك بابل وانتصر عليهِ وعند رجوعهِ الى مصر اسر يهوآحاز بن يوشيا ملك يهوذا وملّك عوضًا عنهُ اخاهُ يهوآقيم ثم اتى عليهِ بختنصر ملك بابل واخذ جميع املاكهِ في اسيا من نهر الفرات الى مدخل مصر حسبما كان قد تنبأ ارميا ار ٤٦: ٢ و ٢ مل ٢٤: ٧ وسبى بختنصر كثيرين من اليهود الى بابل

وبعد وفاة نخو خلفهُ ابنهُ فصاميس وملك ست سنين ثم خلفهُ ابنهُ فرعون حفرع ار ٤٤: ٣٠ فاستغاث بهِ صدقيا ملك يهوذا على ملك بابل بعد ما نهاهُ عن ذلك النبي حزقيال فاتى بختنصر الى اورشليم وطرد المصريين الذين كانوا قد اتوا لمعونة صدقيا وحرق اورشليم ونقل اكثر اليهود الى بابل كما تنبأ حزقيال حز ١٧: ١٥ و ٢١: ١ — ٣ و ١٩: ٣ — ٤ و ٢٩: ٨ و ٩ وتنبا ايضًا بالمصائب العتيدة ان تقع على مصر ص ٢٩ الى ٣٢ وقد اخبرنا المؤرخ هيرودوط انهُ حدث في مصر فتنٌ وحروبٌ كثيرة حتى ضعفت جدًّا . ثم اتى عليها بختنصر ملك بابل واستملكها كما تنبا حزقيال ص ٢٩ و ٣٠ وار ٤٣ وعند رجوعهِ الى بلادهِ ولّى عليها واليًا من قبلهِ فتم قول حزقيال ٣٠: ١٣ حيث قال ولا يكون بعدُ رئيسٌ من ارض مصر

واما اماسيس الذي ولاّهُ ملك بابل على مصر فاخضع لحكمهِ جزيرة قبرس . ثم في آخر حياتهِ انكر الخضوع على ملك

بابل وبعد وفاتهِ خلفهُ ابنهُ فصمنيتوس. وسنة ٥٢٥ ق م اتى الى مصر كمبيز بن كورش ملك فارس واخضعها تحت حكمهِ

الفصل العاشر

في تاريخ فينيقية

ان فينيقية كانت مشتملة على الاراضي الواقعة بين مصب نهر العاصي شمالاً وجبال النصيرية وجبل لبنان شرقًا وريف البحر المتوسط غربًا وحدها الجنوبي مدينة صور ومتى ذكرت فينيقية في التاريخ يراد بها السواحل الواقعة بين الجبال والبحر المتوسط من مدينة صور الى اللاذقية وسُمّي سكانها في الكتب المقدسة كنعانيين لكونهم من نسل كنعان بن حام بن نوح واليونانيون سمّوهم فينيقيين . وقد انقسم اولاد حام الى احدى عشرة عائلة اقواها عائلة كنعان الذي كان لهُ ابن اسمهُ صيدون تك ١٠ : ١٥ . وقال يوسيفوس المؤرخ اليهودي ان صيدون بن كنعان بنى مدينة صيدون التي تسمى الآن صيدا وبنى نسلهُ مدينة صور وهاتان المدينتان من اقدم مدن العالم وكانتا مركزًا لتجارة متسعة انظر اش ص ٢٣ وحزقيال ٢٦ — ٢٨ . وكان للفينيقيين التقدُّم على سائر الشعوب في اصطناع السفن وسلك البحر وقد انشأوا صناعة الزجاج واشتهروا ايضًا بصناعة الاقمشة وعلى الخصوص القماش الارجواني الذي استخرجوا صباغهُ من بعض الصدف البحري فسُمّي الارجوان الصوري ولا يستعمل